الألم وضرورته فى الحياة

حينما يكون المرء من السعداء ترفرف أجنحة الهناءة ، وتغرد أصوات الطرب فى رياض قلبه ... وعند ما يكون من التعساء يحترق قلبه من لواعج الأحزان ، ويحول فيه الشقاء ، ويتعالى تحوبه ، وتكثر زفراته وأناته ..

ومن الحالة الثانية يتولد الألم فى القلب ، ثم تصل ناره إلى مقلة العين فتغادر جودها وتذرف الدمع المدرار .

فالألم رسول يهدينا إلى حقائق الحياة ، ومرشد جبار يعلمنا فصولها وحكمتها ، يطهر بناره النفس من كل خبيث وقبيح ولا يتركها إلا بيضاء ناصعة تدرك معنى الحياة ...

* * *

الألم يعلم النفس الرحمة والعطف والحنان . فأى من لم يسل دموعه حسرة على المنكوبين ويخفق قلبه حزنا على اليائسين فذاك الذى لم يذق الألم .. وكيف إذن يحس بالشفقة والرحمة ؟ وكيف يعرف موضع الأسى من قلوب الغير ؟.. حقا إن الألم من أهم لوازم الحياة ...

* * *

أى عامل هدى الظالم إلى الاقلاع عن ظلمه إلا أنه ظلم مرة أو مرات فتأجج قلبه بنار الألم واهتزت أركانه من وطأته : فأحس بحال المظلوم ولمس ظلم الظالمين فأقسم أمام ضميره ليكونن من العادلين ؟..

وأنت أيها المحسن البار لمواطنيك !! هل ولدت وسجية الاحسان ؟! كلا وربى !! فلا بد قد ذقت مرارة الجوع مرة فعرفت إحساس الجائعين . وعندئذ أخذت على نفسك عهداً لتساعدن بمقدار استطاعتك المعوزين ..

وأنت يا مشيد الملجأ أو مشيرا بيناته أو مساعدا فيه بمجهودك أو مالك .. ألم يحفك الخطر يوما ما فوقعت بين براثن اليتم أو الفقر أرهما معا ، فأحسست بوطأتهما وأشفاك القدر فقدمك هذا إلى إقامة هذا البناء ، لتضم بين حيطانه من هوى العذاب مثلك يقيمون؟

وهل يا واهب الأطيان وقفا للمساجد ؟ أنت دفعت بأفدنتك إلى الأوقاف هكذا والسلام ؟ كلا .. فلا بد أنك ذهبت باحثا فى أصول الشرع الحنيف فعلمت الثواب والعقاب والنعيم والجحيم ، فانخلع قلبك من هول العذاب فقدمت لنفسك حسنة طيبة

وهيأت لاخوانك المسلمين الطاعة لتنعمك يوم الحساب..« يوم لاينفع مال ولابنون » .

وأنت أيضا ياباقي المشي ..؟ هل دخلت قلوب المرضى الموزين ، حتى لمست قروح أفئدتهم ، وسمعت أنات فؤادهم ، فشعرت بشيء من العطف عليهم ، فأجزلت لهم من مالك ، وقدمت إليهم شيئاً من نعمة الله عليك وأنت مطمئن مغتبط ؟؟؟ لاشك أنك وقفت بين أبواب المرض يوما ما فتألمت من شدته ، وشقيت بحمله ، فقدمت هذه المشي رأفة بهؤلاء المرضى المساكين ..

وأنت يا من كنت تسير على القدم في أسفارك . لم اتخذت القطار بديلا عن حمارك أو حصانك ؟؟ لاشك أنك تعبت أولا ، ثم خدرت تعب حيوانك ، فعرفت أن الحيوان يحس ويتألم كما تتألم أنت سواء بسواء ، فسلكت طريقا أيسر فيه الشفقة والرحمة .

* * *

فالألم إذن خير ناصح ، وأقدر مرب ، ومن لم يحس به فقد تنكب عن الطريق المستقيم ، وجهل الانسانية الحقة ، ولم يعرف معنى الاخاء ...

فيامن أنزل الكثير من الدموع ...، ويا قلب أخرج تأوهاتك وآلامك ، وياأدمع انهملي على الخدود وزاحمي الأجفان ليبدلك الألم رحمة وشفقة ، وعطفا وحنانا وبرا وإحسانا ...؟

أبو الحسن اسماعيل
بالاسكندرية

أبى ..!!

بنوك وقد قضيت غدوا حيارى ... ووقع الخطب عندهم عصيب !!
تلفت . ذى ليالهم دياج ... تعالى فى حلوكتها النحيب !!
ولو شغلوا بصمت عن بكاه ... ليسمع من قلوبهم الوجيب !!
أبى ! ماذا دهاك فغبت عنا ... وباد الجبى ، وانقطع الذهاب ؟!!
نوسدت الثرى ، ولكل حى ... وإن طال المدى منه نصيب !!!
أقول لقبرك المملوء فضلا ... كفى للفخر ذيلك الأريب !!
تزينك كان فى الدنيا أميرا ... وفورا ، لايعاب ولايعيب !!
سأبقى العمر أندبه ويومى ... أمنى لمصابه الدمع السكوب !!

النزلة المنجمة — راتب سليمان حماد